

المدونة الكبرى

سلسلة التفریفات الرمضانية 3

كيف تفوز بإيالة القدر

لفضيلة الشيخ

محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله

تفريغ وتنسيق

أبو محمد صلاح الحامدي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - { يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } ، { يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تسألون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيبا } ، { يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً } أمّا بعد :

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي ، هدي محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وشرّ الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار أمّا بعد :

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : [كان رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - إذا دخل العشر شدّ مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله] وعند مسلم في الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : [كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل العشر أحيا ليله ، وأيقظ أهله وجدّ وشدّ المئزر] ، وفي رواية عند مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : [كان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يجتهد في العشر مالا يجتهد في سواه] ، تعني : أنّه - صلى الله عليه وسلم - يجتهد في العشر الأخر من رمضان مالا يجتهد في سواه ، فدلّت عائشة - رضي الله عنها - عن ما كان يفعله النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في العشر الأواخر من شهر رمضان وأنّه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كان يُخصّصه بأمور لا يخصّ غيره بمثلها ،

ومن ذلك أنه كان يُحيي الليل - هاهنا - إحياءً لجميعه ، مع أنّ عائشة - رضي الله عنها - قد صحّ عنها من أنّ النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ما صلى ليلة بطولها قط ، ولكنّ العلماء يقولون أنّ النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كان يُحيي الليل كله بعبادة لا تُشترط أنّ تكون صلاةً ، فإنه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كان يُحيي الليل في العشر الأواخر من رمضان ؛ يُصلي ويُدارس جبريل القرءان ، ويدعوا الله - تبارك وتعالى - بما يسرّ الله - رب العالمين - من دعاء ، تقول عائشة - رضي الله عنها - وأرضاه - : [كان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - إذا دخل العشر أيقظ أهله ، وأحيا ليله ، وجدّ وشدّ المنذر] ، وفي قولها - رضي الله عنها - [جدّ وشدّ المنذر] دلالة واضحة على أنّ شدّ المنذر ليس كناية عن الإجهاد كما يقال - فلانُ شَرٌّ عن ساعد الجد ، وشدّ منظره إستعداداً لذلك الأمر - ولكنها تقول : [جدّ وشدّ المنذر] ، فدل ذلك على أنّه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كان يأتي بشيء سوى الجد دلّت عليه بقولها [شدّ المنذر] ، وهو كناية عن إعتزال النساء ، فكان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يُصيب من أهله في العشرين ، فإذا دخل العشر إعتزل النساء لأنه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كان يلتمس أمراً عظيماً وهو ليلة القدر ، وكان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يعتكف العشر الأواخر يلتمس ليلة القدر ، فكان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يجتهد في العشر مالا يجتهد في سواه ، وكان - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - إذا دخل العشر أحيا ليله ، وأيقظ أهله ، وجدّ وشدّ المنذر وكان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يتعاهد أهله من كان مُطيقاً من أجل أن يوقظه للصلاة ، وقد ثبت من فعله مع علي وفاطمة - رضي الله عنهما - ؛ إذ كان يطرقهما ليلاً من أجل أن يوقظهما للصلاة ، ودلّ النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - على فضل هذا الأمر من أنّ الرجل إذا قام من الليل يُصلي وأيقظ أهله ، فإن قامت وإلّا نضح في وجهها الماء ، وكذلك إذا قامت المرأة من الليل تصلي فأيقضت زوجها وإلا نضحت في

وجهه الماء ، ودعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - بالرحمة لمن فعل ذلك من رجل أو امرأة ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يُصلي قيام الليل حتى إذا أراد أن يوتر أيقظ عائشة - رضوان الله عليها - لكي تُصلي ، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يخص العشر الأواخر من رمضان بأمور خاصة ؛ وهي أنه - صلى الله عليه وسلم - يجتهد في العشر ما لا يجتهد فيما عداه ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يُحيي الليل ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يوقظ أهله ، وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما ثبت صحيحاً عنه - صلى الله عليه وسلم - ربما ألحق العشاء بالسحور ، وربما كان يواصل - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - كما دلّ على ذلك الحديث الصحيح " أنه - صلى الله عليه وسلم - نهاهم عن الوصال وأخبرهم أنه من كان فاعلاً فليواصل إلى السحر ، فقالوا : يا رسول الله إنك تواصل ، فقال : [**إني لست كهياتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقني**] ، فأبوا إلا أن يواصلوا فواصل بهم النبي - صلى الله عليه وسلم - يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال فقال - صلى الله عليه وسلم - : [**لولا لم تروه لواصلت بكم**] كالتنكيل لهم إذ لم يأخذوا بقوله - صلى الله عليه وسلم - ، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - كان يخص العشر من هذه الألوان ، من ألوان الاجتهاد في العبادة ، وذلك لأجل أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يتحرى ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان ، أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي مضاغة قال : قال أبو سعيد (هو الخدري - رضوان الله عليه -) : " إعتكف النبي - صلى الله عليه وسلم - العشر الأوسط من رمضان ولم تكن ليلة القدر قد بينت له ، فأمر - صلى الله عليه وسلم - بالبناء فقوض ، فأبينت له ليلة القدر فأمر بالبناء فأعيد - صلى الله عليه وسلم - وعلى آلِه وسلم - ثم خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - ليعلمهم بليلة القدر ، فقال : [**خرجت لأعلمكم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان**] ، جاء فلان وفلان يتلحيان ، وفي رواية [**يحتقان** ، معهما الشيطان فرُفعت ، فالتمسوها في تاسعة تبقى ، في

سابعة تبقى ، في خامسة تبقى] ، قال أبو نضرة قلت لأبي سعيد إنكم أعلم بالحساب منّا ، فقال : " نعم نحن أحق منكم بذلك ، فإذا كانت ليلة ثنتين وعشرين فهي تاسعة تبقى ، وإذا كانت ليلة الرابعة والعشرين فهي سابعة تبقى ، وإذا كانت ليلة السادسة وعشرين فهي خامسة تبقى " فدلّ على أنّ ذلكم إنما يكون في أشفاع العشر الأواخر ، وليس في أوتارها ، فالنبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - جعل الأوتار فيما مضى وفيما بقي ، فإن كان فيما مضى فهي ليلة إحدى وعشرين ، أو ليلة ثلاث وعشرين ، أو ليلة خمس وعشرين ، أو ليلة سبع وعشرين ، أو ليلة تسع وعشرين من الشهر ، ولما إذا نظرت إلى ما بقي كما في حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - في قول النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : [في تاسعة تبقى] فإنّ التاسعة التي تكون هاهنا مع تمام الشهر ثلاثين تكون ليلة الثاني والعشرين ، وكذلك السابعة تكون ليلة الرابع والعشرين ، وكذلك ذلك إلى آخر الشهر ، فتكون في الأشفاع لا في الأوتار على حسب ما تبقى من الشهر ، وأما في ما بقي منه فإنها على إحدى وعشرين إلى تسع وعشرين ، وعليه فينبغي على العبد المسلم أن يلتزم ليلة القدر في الأشفاع والأوتار على السواء ، لأنّها أوتارٌ باعتبار وأشفاعٌ باعتبار على حسب أحاديث النبي المختار - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، فالرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كما قال الشافعي - رحمه الله - جمعاً بين الرويات : " كان - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يُجيب كل قوم أو كل سائل على حسب ما ترائ لذلك السائل " ، ففي صحيح مسلم أنّ جمعاً من الأصحاب رأوا ليلة القدر في السبع البواقي من شهر رمضان فأخبروا النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بذلك ، فقال : [أرى رؤياكم قد تواطأت ، التمسوها في السبع الأواخر من شهر رمضان] ، فدلّ النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أنّ هؤلاء لما تواطأت رؤاهم التي رأوها على أنها رؤى حق رأوها ، وأنّ ليلة القدر في السبع البواقي ، وفي الحديث الصحيح أنّ النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : [تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر

رمضان] ، وفي الحديث الصحيح أيضاً أنه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - دلّ على أنها في الأوتار من العشر الأواخر من رمضان ، فإذن بين النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أنها في العشر الأواخر ، ومن عجز عن ذلك ، وأن يأتي بالعبادة في العشر جميعها ، فعليه أن يلتزم ذلك ولا يعجز عن أن يأتي بالعبادة المرجوة المطلوبة منه على حسب إرشاد الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في السبع الأواخر ، والرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - جمعاً للأحاديث الصحيحة الثابتة عنه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - دلّ على أن ليلة القدر في الأوتار من العشر الأواخر ، ثم إن ذلك إذا كان على إطلاقه ، فلدينا أحاديث عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - تدل على أنه في تاسعة تبقى ، في سابعة تبقى ، في خامسة تبقى ، وهذا دلالة على أنها في الأشفاق لا في الأوتار من العشر الأواخر من رمضان ، فإذا ما أراد الإنسان أن يصيب ليلة القدر يقيناً فعليه أن يجتهد في العشر الأواخر جميعهم ، وأن لا يقصر إجهاده على الأوتار ، على اعتبار واحد - على اعتبار ما مضى - ، وإنما عليه أن يجتهد في تلمس الأوتار في ما مضى ، وفي ما بقي ، وحينئذ يكون مجتهداً في الأشفاق وفي الأوتار - على حسب الظاهر ، ولا يخفى أن الشهر إذا كان تسعة وعشرين ، فإن ذلك يتواطأ فيما مضى وفيما بقي ، ولكن في كلام أبي سعيد الخدري - رضوان الله عليه - في تاسعة تبقى ، وفي سابعة تبقى ، وفي خامسة تبقى ، وفي شرحه لذلك من كلام النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - دلالة نصه عليه في ليلة إثنين وعشرين ، وفي ليلة أربع وعشرين ، وفي ليلة ست وعشرين ، يعني في الأشفاق ، وهذا أمر مهم جداً ، وعلى العبد أن يجتهد في العشر الأواخر لأن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كان يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في سواه من أيام العام - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - .

ليلة القدر أنزل الله - رب العالمين - بشأنها قرأناً يتلى في الحارِب إلى يوم الدين { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ } ، وهي الليلة التي أنزل الله فيها القرآن ، كما قال عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنهما - : " إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنْزَلَ الْقُرْآنَ مِنَ اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ رَمَضَانَ " ، أنزل الله - رب العالمين القرآن في ليلة القدر ، وليلة القدر في رمضان يقول ربنا جلت قدرته : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ } ، فدلنا ربنا - تبارك وتعالى - على أنَّ القرآن أنزل في شهر رمضان ، ثُمَّ أخبرنا الله - تبارك وتعالى - أنَّ ذلك كان في ليلة القدر : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } ، وهي ليلة القدر التي قال فيها ربنا - تبارك وتعالى - : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } ، وابتدئ النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بالوحي في ليلة القدر من شهر رمضان ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يتحنَّثُ في غار حراء فأتاه الملك بصدر سورة العلق فكان ذلك أوَّل ما أنزل الله - رب العالمين - على قلب نبيه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، هي ليلة القدر : بمعنى الشرف والعظمة وارتفاع المكانة ، فلانَّ رجلٌ ذو قدر : بمعنى أنَّه له قدرٌ ومكانة وشرف ، فهي ليلة ذات قدر ، ذاتُ شَرَفٍ عند الله - تبارك وتعالى - لأنَّ الله - رب العالمين - أنزل فيها كتاب ذا قدرٍ بواسطة رسولٍ ذا قدرٍ - أي ملك ذي قدرٍ - على نبيٍ ذا قدرٍ ، في أمة ذات قدرٍ ، وفيها من التَّكْرِيم ما دلنا ربنا - تبارك وتعالى - عليه من تنزُّل الملائكة ، وفي الحديث الحسن أنَّ النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أخبر أنَّ الملائكة في تلك الليلة في كثرتها لا يُضارِعها كثرة ، تكون في ليلة القدر في الأرض ، وأخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أنَّ هذه الليلة سلامٌ جميعها فقال ربنا - تبارك وتعالى - : { سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ } ، وقَدَّمَ الله هاهنا ما حَقَّه التَّأخير في قوله - جلت قدرته - { سَلَامٌ هِيَ } للدلالة على إختصاصها بهذا السلام في جميع أحوالها ،

وبين لنا ربنا - تبارك وتعالى - أنّ ذلك يمتد حتى تنسلخ الليلة ، وحتى يبرز فجرها { سلام هي حتى مطلع الفجر } ، هذه الليلة أنزل الله - رب العالمين - فيها القرآن ، وجعل الله - رب العالمين - شهر الصيام فرضاً على أمتي محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وركناً من أركان الإسلام ، وجعل الله - تبارك وتعالى - ذلك الصيام في هذا الزمان لأجل أنّه - جلّت قدرته - أنزل القرآن فيه فقال - ربنا جلّت - قدرته : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } فرتب الله - رب العالمين - الصيام على نزول القرآن { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } يعني : إنّما جعل الله - تبارك وتعالى - ذلك الشهر محل للصيام وللإتيان بالعبادة المفروضة على المسلمين ، جعل الله - تبارك وتعالى - ذلك الزمان محل لهذا الصيام ، لأجل أنه أنزل فيه القرآن ، فهذه الليلة إنّما فضلت على هذا النحو لإنزال القرآن العظيم فيها { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ } ، { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } ، فأنزل الله - رب العالمين - القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ، في ليلة القدر من شهر رمضان ثمّ بدأ تنزل القرآن على قلب النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في ليلة القدر من شهر رمضان ، وهو يتعبّد في غار حراء وهو يتعبّد في جبل النور - كما يسميه الحجازيون - ولا غروا ، هو كذلك لأنّ القرآن تنزل أوّل ما تنزل في الغار الذي في ذلك الجبل ، والقرآن نور كما بينا الله - رب العالمين - وصف القرآن بذلك في كتابه العظيم ، يقول الله - جلّت قدرته - : { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ } أي : ليس فيهنّ ليلة القدر ، فتكون ليلة القدر خيراً من عبادة ألف شهر ليس في شهر من تلك الشهور ليلة القدر ، وليكن معلوماً أنه عندما نقرأ هذه الآية العظيمة أنّ العدد لا مفهوم له ، يعني : ليس المقصود أنها خير من ألف شهر عدداً ، وإنّما هي أكبر من ذلك ، وأعظم من ذلك ، وأفخم من ذلك ، لأنّ العدد لا مفهوم له ، كما قال ربنا - جلّت

قدرته - { استَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } فهل هذا العدد الذي ذكره الله - تبارك وتعالى - في هذه الآية له مفهومه الخاص به ، بمعنى أنه لو استغفر لهم إحدى وسبعين مرة أو ثنتين وسبعين مرة يغفر الله - تبارك وتعالى - لهم ، هذا العدد لا مفهوم له ، وإنما المقصود أنه لو استغفر لهم ما استغفر لهم من غير ما تقيّد بعدد فلن يغفر الله لهم ، فمن هذه البابة يقول ربنا - جلت قدرته - : { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ } ، ولماذا اختار الألف هنا نصّاً وتحديداً ؟ ، يقول العلماء : " لأنّ العرب لم تكن تعرف عدداً فوق الألف " ، ولذلك ذكر الله - رب العالمين - حدود ما تعلم العرب من العدد في أقصاه ، وذكروا لذلك واقعة ، وهي : أنّ رجلاً أسر في معركة من المعارك بنت ملك من الملوك ، فأرسل إليه من أجل أن يدفع فداءها ويحررها من قبضة أسره ، فقال لهم رسول الملك : إشتري ، فقال : أشتريها أن يدفع لي الملك ألف دينار عدداً ، فقال : هذا كالتحقير للملك وابنته على السواء ، فالتطلب أكثر من ذلك ، قال : أوفوق الألف شيء ! ، لو علمت أن فوق الألف عدداً لطلبتّه ، فأنزل الله - رب العالمين - قوله : { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ } لا على حسب التحديد الوارد عدداً في نص الآية ، وإنما العدد لا مفهوم له ، كما أخبر ربنا - تبارك وتعالى - عن استغفار النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لأولئك الهلكى ، وأنه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله - رب العالمين - لهم ، هذه الليلة هي في العشر الأواخر من شهر رمضان ، والعلماء على أنها تنتقل في أوتار العشر الأواخر ولا تثبت على حال ، وعندهم في ذلك من الأدلة الصحيحة عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، أنه أخبر - صلى الله عليه وسلم - أنها كانت في الليلة الحادية والعشرين ، وذلك أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - إعتكف العشر الأول من شهر رمضان يلتمس ليلة القدر ، ثمّ إنه - صلى الله عليه وسلم - قيل له : " إنّ الذي تطلب أمامك " ، فاعتكف العشر الأوسط من شهر رمضان فلما كان في الليلة العشرين ، قال : [من كان قد إعتكف

معنا فلينصرف [ثم إنه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أعلم أنه يسجد في ليلة القدر في ماء وطين ، وكان مسجد النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يتوكف بالمطر إذا ما أرسل المطر من لدن رب العالمين ، بمعنى أن المطر كان إذا أصاب سقف مسجد النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، أصاب أرض المسجد ، فرؤي النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة الحادي والعشرين ، رؤي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وقد سجد في الماء والطين - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وذلك أن الله - تبارك وتعالى - ، ولم تكن تُرى في السماء قرعة ، يعني : لا يُرى في السماء سحاب قط ، أرسل الله - رب العالمين - سحابة فتوكفت مطراً ، فهطل المطر ، فنزل أرض مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - على آله وسلم - مطينها ، وسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى رؤي الطين على أرنبة أنفه - صلى الله عليه وسلم - ، وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه أنها في الليلة الثالثة والعشرين ، وكذلك في الليلة الخامسة والعشرين ، وكذلك في الليلة السابعة والعشرين ، وكذلك في الليلة التاسعة والعشرين ، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - أخبرهم مرة وقد تذاكروا ليلة القدر ، فأخذوا يتكلمون في ليلة القدر فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - تذكرون ليلة كان القمر فيها كشق جفنة (والجفنة : القصعة يكون فيها من الطعام ما فيها) ولا يكون القمر كذلك إلا في آخر الشهر ، لا يكون القمر كشق الجفنة إلا في أواخر الشهر ، فدل ذلك على أنها كانت في التاسع والعشرين من ذلك الشهر ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أن الله - تبارك وتعالى - لم يرفع عينها ، وإنما رفع تعينها ، فمن زعم التعين فقد افتات على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أنه قد خرج إليهم من أجل أن يعلمهم بتحديد ليلة القدر عيناً ، بحيث أنها تكون بعلامتها لا تشبه أبداً إلى يوم القيامة ، فلما خرج الرسول - صلى الله عليه وسلم - وجد فلان وفلاناً يحتقان ، يعني كل يطلب

الحق يدعيه ، وفي رواية [يتلحيان] (يعني : كل يمسك بلحية أخيه) أو لا يمسك إنما يتخاصمان ، وإنما سمي الخصام بالتحاحي ، لأنهم كانوا إذا تخاصموا أمسك كل بلحية أخيه يحجره إليه ، فقال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - [يحتقان] كل يدعي الحق لنفسه ، معهما الشيطان ، قال : [فرفعت] ، يعني : فرفعت تعينها ولم ترفع بعينها ، وإنما هي باقية في شهر رمضان في العشر الأواخر في الأوتار منه تنتقل ، كما قال الشافعي الإمام - رحمه الله عليه - ، وقال السُّكِّي الكبير - عفى الله تبارك وتعالى عنه وغفر له - : " إنَّ الإنسان إذا أعلم بليلة القدر بشاهد من شواهدا فعرّفها " ، والأمرات التي ذكرها النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في جملتها لا تعرف إلا في صبيحتها ، كأن تخرج الشمس صبيحتها حمراء ضعيفة من غير ما شعاع ، فهذا لا تعرفه إلا بعد إنقضاء الليلة ، وبين النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بعض العلامات غير أنها تكون نسبية يمكن أن يختلف فيها الناس ولا يتفق منهم إثنان ، في مثل قوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : [إنها ليلة طُلُقَةٌ بلجةٌ ، وإنها - أي ليلة القدر - تكون لا حارة ولا باردة] ⁽¹⁾ ، هذه أمور لا يمكن القطع بها على نحو مستقر ثابت ، بحيث يمكن الجزم معه ، وإنما أخفى الله - رب العالمين - ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان من أجل أن يبذل الناس الجهد ، وأن يجتهدوا في العبادة لله - رب العالمين - لطلب ليلة القدر في تلك العشر جميعها ومجموعها ، كما أخفى الله - رب العالمين - رضاه في طاعته ، وكما أخفى الله - رب العالمين - سخطه في معصيته ، وكما أخفى الله - رب العالمين - تلك الأمور التي يُرغَّب فيها ، عباده من أجل أن يتلمسوها ، وأن يتحروا وجوه الخير في إلتماسها ببذل الجهود وإلا لتواكلوا ، ولذلك يقول النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بعد أن أخبرهم أنها

(1) صحيح ابن خزيمة - كتاب الصيام ، جماع أبواب ذكر الليالي التي كان فيها ليلة القدر في زمن - باب صفة ليلة القدر بنفي الحر والبرد فيها ، حديث : (2032 7834) . بلفظ : قل رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني كنت أريت ليلة القدر ، ثم نسيتها ، وهي في العشر الأواخر من ليلتها ، وهي ليلة طُلُقَةٌ بلجة ، لا حارة ولا باردة " ، وزاد الزبائدي : " كأن فيها قمرا يفضح كواكبها " ، وقالوا : " لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها " .

رفعت ، أي رفعت عينها القاطع التي لا يشتبه ، قال : وعسى أن يكون خيراً لكم ، فيقول السُّكِّي الكبير - غفر الله له وعفى عنه - : يقول : " إنه من أراه الله - رب العالمين - ليلة القدر فأعلمه بها فعليه أن لا يُخبر بها أحداً " ، لأن ذلك عند الإخبار إنما يكون بخلاف ما دلنا عليه الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، فإن الله - رب العالمين - لما نُسِّي نبيه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كان إخفائها بعدم تعيينها خيراً للأمة كما أخبر الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وعليه فيقول : " لا يجمل بمن عرف ليلة القدر أن يُخبر بها أحداً " ، ويقول أيضاً : " أن ذلك إنما يكون من باب الكرامة التي يُكرم الله - رب العالمين - عبداً من عباده ، فإذا ما أعلم بذلك فهو على شفا العُجب أو على شفا الغرور فيُخشى على قلبه " ، الحاصل أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أخبر أن ليلة القدر تكون في أوتار العشر الأواخر ، وأنها إذا ما ضعف العبد عن تلمسها ، ينبغي أن لا يعجز عن تلمسها في العشر الأواخر ، وبين الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في الرويات الصحيحة التي ينبغي أن يُجمع بينها ، ولا ينبغي أن يُهمَل منها شيء ، لأن القاعدة عند العلماء - عليهم الرحمة - أن " الإعمال أولى من الإهمال " ، فإذا قال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : [**إلتمسوها في**

تاسعة تبقى] ، وبين لنا أبو سعيد الخدري - رضوان الله عليه - حساب ذلك ، وأنها الليلة الثانية والعشرين ثم يتواتر ذلك ويتتابع حتى يكون في أشفاع الشهر إلى آخره ، ثم بين لنا النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - حساباً من وجه آخر ، وهو أن الأوتار تكون على حسب ما مضى في ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين إلى آخر الأوتار في العشر الأواخر على حسب ما مضى من الشهر ، فإذا ما أخذت الأوتار على حسب ما مضى ، وعلى حسب ما بقي يتحصّل لديك أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان ، في الأوتار ما بقي وما مضى ، وعليه فهي الأوتار وفي الأشفاع على السواء ، وعلى من أراد أن يكون مُتحريراً لليلة بصدق ؛ أن يجتهد كما كان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -

وسلم - يفعل ، أن يجتهد في العشر الأخير ، كان يجتهد في العشر الأخير من رمضان ما لا يجتهد في سواه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، بين لنا نبينا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - عظيم قدر ليلة القدر بقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : [من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه] وهذا جزء من حديث متفق على صحته ، [من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه] ، لم يثبت أبداً عن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أنه أحيا ليلة كاملة بالصلاة إلى الفجر ، كما روت ذلك عائشة - رضوان الله عليها - ، وإنما كان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، يُصلي ويرقد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، يقوم وينام - صلى الله عليه وسلم - ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - في العشر الأخير من رمضان يحيي الليل كله كما في الصحيح عن عائشة - رضوان الله عليها ، [كان إذا دخل العشر أحيا ليله] ، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحيي نفسه بتلاوة القرآن ، بعبادة ربه - جلا وعلا - وهي الحياة الباقية ، وهي الحيوان لو كان يعلمون ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحيي موات الليل ، الذي يمر هدرًا من غير أن يُفيد منه الإنسان شيئاً يُحصّله في أمر دنياه ، ولا في أمر أخراه فيقول النبي - صلى الله عليه وسلم - ويفعل في ذلك الليل الكثير من الخير تالياً لكتاب رب العالمين ، تالياً مُصلياً لله - رب العالمين - ، وكان يُدارس جبريل القرآن في ليالي رمضان ، كما أخبر عن ذلك عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما - في مدارس جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن في كل عام مرة ، فلما أن كان العام الذي قبض فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - دارسه جبريل القرآن مرتين ، حتى إنه علم أنه مقبوضٌ لعامه ذلك - صلى الله عليه وسلم - ، إذن إحيا الليل في العشر الأخير من رمضان يكون بالصلاة والدعاء أيضا ، يقول سفيان الثوري - رحمه الله عليه - : " الدعاء في ليلة القدر أحب إلي من الصلاة " ، ولكن الذي ينبغي أن يكون آتيا به

العبد الذي يرقب النصوص كلها ؛ هو أن يمزج التلاوة ، و يمزج الصلاة بالدعاء ، لأنّ النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لما سأله عائشة - رضوان الله عليها - في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه قالت : - يا رسول الله - : [أرأيت لو علمت ليلة القدر أي ليلة هي ماذا أقول ؟ ، قال قولي : اللهم إنيك عفوّ كريم تحب العفو فاعف عني] ، فدلنا هذا الحديث على أمور : منها أنّ الإنسان يمكن أن يعلم ليلة القدر بما يُريه الله - تبارك وتعالى - في روحه وقلبه وضميره وفؤاده أو في بصره وحسّه وحواسّه ، لأنّ ذلك إنما يكون من عند الله - رب العالمين - وهباً لا كسب فيه ، وإنّما يتعرض الإنسان لرحمات رب العالمين ، حتى أنّ كثيراً من أهل العلم يقولون : هل يُصيب ليلة القدر بفضلها ، ويصيب الفضل منها من لم يعلمها ووافقها ، أم أنه لا ينال فضلها إلا من علمها ؛ قولان لأهل العلم ، والصواب منهما أنّ الإنسان يُصيب الخير في ليلة القدر ومنها سواء علمها أم لم يعلمها طالما أنه وافقها مُحياً لها عابداً فيها الله رب العالمين ، مُقبلاً على أمره مُدبراً على ما يُضيق عليه وقته وحياته وحيّة قلبه ، لأنّ هذه الليلة كما أخبر الله - رب العالمين - { فيها يُفرق فيها كل أمر حكيم } ، وبَيّن عبد الله ابن عباس وغيره من السلف الصالحين - رضوان الله عليهم أجمعين - أنّه تُستنسخ نُسخة سنوية من أم الكتاب ، أو من التقدير الحولي بيوم الميثاق ، ويعود ذلك في النهاية إلى أم الكتاب إلى اللوح المحفوظ ، فتُستنسخ نُسخة سنوية بما يكون من ليلة القدر إلى ليلة القدر إلى العام الذي يلي ، فيُستنسخ في تلك النسخة في ليلة القدر من يموت ومن يحيى ، ومن يفنى ومن يولد ، من فتقر ومن يفتني ، ومن يرفعه الله - رب العالمين - ومن يحط الله - رب العالمين - قدره ، من يحج - هكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما - ، يُكتب في تلك النسخة المُستنسخة من أم الكتاب من اللوح المحفوظ في ليلة القدر أسماء الحجاج ثمّ يُختم على ذلك فلا يُزاد فيهم ولا يُنقص منهم ، هي هذه الليلة التي هي ذات قدر : أي ذات شرف ، أو هي من القدر بمعنى التضيق ، لأنّه يُضيق فيها على أمور الشر جداً ، أو أنها

ذات قدر بمعنى القدر ، لأنه يُقدَّر فيها في تلك النسخة المُستنسخة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر { فيها يُفَرَّق كُلُّ أمر حكيم } ، يُقدَّر فيها من مقادير الأشياء التي قُدِّرَتْ أَجْلاً فُتُسْتَنَسَخ في ليلة القدر ما يكون إلى العام الذي يلي ، كان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في هذا الحديث الذي دلَّ فيه عائشة - رضوان الله عليها - على خير ما تدعوا به في ليلة القدر ، ولو علم النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فوق ذلك شيئاً يكون ذا نفعٍ لدلَّها عليه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، تقول : " يا رسول الله أرأيت لو علمت ليلة القدر أيُّ ليلة هي ، ماذا أقول ؟ ، قال لها النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قولي : [اللهم إنك عفوٌ تُحبُّ العفو فاعفو عني] ، فدلَّها على طلب العفو من الله - عز وجل - والله هو العفو يعفو على عباده ، وكان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يعوذ بعفو رب العالمين من نقمته ، كما يعوذ برضاه من سخطه ، [اللهم إني أعوذ بمعاقتك من نقمتك ، وبرضاك من سخطك ، وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك] ، ويجعل ذلك في آخر وتره - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قبل سلامه ، أو يُمكن أن يأتي بها بعد السلام أيضاً ، فكان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ناصحاً عائشة - رضوان الله عليها - غاية النصيحة في الدلالة على هذا الأمر الكبير ؛ وهو أن تطلب من الله - تبارك وتعالى - في ليلة يُستجاب فيها الدعاء ، ويتعرض فيها العباد إلى نفحات رحمت رب العالمين يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - قولي : [اللهم إنك عفوٌ تُحبُّ العفو فاعفو عني] ، وتقول ذلك ليلاً كثيراً - رضوان الله عليها - وتَسأل الله - رب العالمين - العفو - أن يعفو عنها ، والله - رب العالمين - يُحب العفو ، ويجب من عباده إذا ما تمكن واحدٌ منهم أو تسلط أن يعفو ، حتى يُعامله الله - رب العالمين - بالعفو ، فإذا ما رحم من في الأرض رحمه من في السماء ، والنبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أخبرنا عن أمر كبير أيضاً ، في حديث عبادة بن الصامت ؛ عندما خرج ليعلم الناس هناك بتحديد قاطع لليلة القدر تعينا ، فتلاحى فلانٌ

وفلانٌ ، فاحتقى فلانٌ وفلانٌ ، فرفعت ، وهذا دلالة على أن الإستجار ، وعلى أن الخُصام ، وعلى أن الملاحاة والمماراة كل ذلك يرفع الخير ، كما بين ذلك نبينا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، ولا يخفى على أحد أن ليلة القدر لو كانت حُددت تحديداً قاطعاً بجي لا تشبه أن ذلك يكون أرفق بوجه من الوجوه بكثير من المساكين - كأمثالنا - ممن لا جهد لهم على الطاعة الصحيحة لله - رب العالمين ، - نسأل الله العفو والعافية - ولكن يقول النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - [**وعسى أن يكون خيراً لكم**] يعني : لما رُفِع تعينها وبقيت بعينها في أمة النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - .

عباد الله : هذا هو زُبدة العام وما [يتمخدا] عليه العام من الخير في العشر الأواخر من شهر رمضان ، ثم في الأوتار من العشر الأواخر من شهر رمضان ثم في ليلة القدر ، وكان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يخصّها بمزيد عناية ويتطلبها حتى إنه لا يعتكف العشر الأول من شهر رمضان ، مُتلمساً ليلة القدر ، فيُقال له : إنّ الذي تطلب أمامك ، فيعتكف العشر الأوسط من شهر رمضان فيقال له إن الذي تطلب أمامك ، حتى ما كان ما كان من أنها وقعت في ذلك العام في الليلة الحادية والعشرين ، وهي من العشر الأواخر من شهر رمضان ، فالنبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يطلبها بجد واجتهاد ، وكان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - إذا دخل العشر أيقظ أهله ، وأحيا ليه ، وجدّ وشدّ المنزر - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وذلك مع أنه قد غفر الله - رب العالمين - له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، ولكنّه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كان يُحبّ أن يكون عبداً شكوراً لله - رب العالمين - الذي أكرمه ، نسأل الله - رب العالمين أن يُكرمنا بشهود تلك الليلة ، وأن يجعلنا فيها من أهل العتق من النار ، وأن يجعلنا فيها من الخالصين المخلصين لوجهه الكريم ، إنّه على كل شيء قدير ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - .

[الخطبة الثانية :]

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو يتولى الصالحين ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - صلاةً وسلاماً دائماً
إلى يوم الدين أما بعد :

فإن العلماء قد أجمعوا على أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك ، وأن الخذلان أن
يكلك الله إلى نفسك ، التوفيق أن لا يكلك الله - رب العالمين - إلى نفسك ، والخذلان أن
يكلك الله - رب العالمين - إلى نفسك ، خير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وعلى آله
وسلم - ، وكم من رجل يبيت نائماً ، ويصبح نادماً ، هو خير من ملأ الأرض ممن يبيت
قائماً ويصبح مُعجباً ، كم من رجل يبيت نائماً ويصبح نادماً ، هو خير من ملأ الأرض ممن
يبيت قائماً ، ويصبح مُدلاً بعمله مُعجباً ، ثبت عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله
وسلم - قوله : [من صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة]⁽²⁾ ، ولم يثب عنه
- صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أنه صلى أكثر من إحدى عشرة ركعة ، وفي رواية
ثلاثة عشرة ركعة في ليلة قطُّ ، وأما ما قيل من العشرين ، فكل ذلك ضعيف غير ثابت
عن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، النبي - صلى الله عليه وعلى آله
وسلم - كان يُحب أن يُخفي عمله ، وكان - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يُخبرنا
بأن ممن يضلهم الله في ظله يو لا ظل إلا ظله ؛ ذلك الذي ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ،
وفي هذا الزمان استشرت تلك البدع ، التي يُقبل عليها المسلمون الطيبون من السُّدج
والجُهلَاء ، فيجتمعون حول رجل حسن الصوت ، يُغني لهم بالقرءان ، وهم يصرخون
ويزعقون ، ثم يخرجون أسوأ مما دخلوا إلا من رحم الله - رب العالمين - ، حقيقة الدين

(2) صحيح ابن خزيمة - كتاب الصيام ، جماع أبواب ذكر أبواب قيام شهر رمضان - باب ذكر قيام الليل كله للمصلي مع الإمام في قيام
رمضان ، حديث : (599 ، 2048) ، سنن الترمذي الجامع الصحيح - أبواب الجمعة ، أبواب الصوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
- باب ما جله في قيام شهر رمضان ، حديث : (599 ، 768) .

(حقيقة الإسلام) شيءٌ فوق ذلك ، والنبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - هديه خير الهدى - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وما أوتي القوم إلا بجهلهم بسير السلف ، من جهلهم بمعرفة سير السلف - رضوان الله عليهم - ، فإن هؤلاء يكون الواحد منهم يكون رأسه على الوسادة بجانب رأس امرأته يبكي من خشية الله حتى يبُلّ وساده ما تدري بذلك إمرأته ، وكان الواحد منهم يصوم أربعين سناً ، لا يسرد ذلك سرداً ؛ وإنما ما كان مكروهاً أو محرماً صومه كان أبعد الناس عنه ، ولا يعلم بذلك أهله ، يأخذ طعامه على أنه إفطاره فإذا خرج نوى الصيام وتصدق به ، ثم يذهب إلى عمله فيرى أهل السوق أنه أفطر في أهله ، ثم يعود طاوياً صائماً لله - رب العالمين - يظنُّ أهله أنما أكل طعامه في السوق ، وهو صائمٌ لرب العالمين لا يعلم ذلك عنه أحد إلا أن يشاء الله - رب العالمين - أن يعلم ذلك بوجه من الوجوه ، فحقيقة الإخلاص التي أمرنا الله - تبارك وتعالى - بتحريها ، والتي أمرنا النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بتلمسها فوق ذلك جميعاً ، ولقد سمعت في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه أمر ببناء فقوَّض ، يعني أزيل ، والبناء : الخباء ، إذ إنّه ممن يكون في أثناء الإعتكاف أن يتخذ المرء خباءً ليكون فيه ، وفي هذا الإعتكاف يكف المرء على ذاته ناكراً أيها بين يدي ربّه ، طارحاً ما كان هناك من ذنوب وآثم من أجل أن يغفرها المليك العلّام ، حتى أنّ المحققين من أهل العلم يقولون : " يكره للمعتكف أن يقرأ القرآن نظراً ، حتى لا يليه ذلك عن الخشوع والإنقطاع لله - رب العالمين - ، فإن قرأ فلا حرج ، فضلاً أن يكون مكاناً للمسامرة ، ومُعتلفاً للتحصل على لذيذ طيبات المأكولات والمشروبات ، إلى غير ذلك من تلك الأمور التي تحدث ، وتؤدي في النهاية إلى كون العبادة وشكلاً وحركةً ميكانيكية تؤدي ، لا حقيقة وراءها من روح ولا خشوع ، شيءٌ مُحزن أن تكون الخلوة أشدّ صخباً من الجلوة ، أن لا يعكف المرء على قلبه بعيداً عن خلق الله تعالى ، إذ هو مُخالطون للمرء في جميع حالاته على مدار السنة ، وما أكثر الناس الذين يكون الواحد منهم كالمخاط يُصيب البدن ، أو يُصيب

الثوب ، فإن تركته تأذيت منه ، وإن ذهبت تُزيله تقززت منه ، فهو بلاء على كل حال ، الإنسان المخاطيُّ هو الجملة الغالبة على مجموع البشر في زمن منكود بأهله ، لا يتحرى حقيقة الشريعة من أجل أن يأتي بها على وجهها ، وإنما تتربى عوامل النفاق والرياء في القلوب ، من أجل أن تكون متأصلة متجدرة في بقية الأيام وليالي العام ، درسة لأي شيء هي ؟ ، أمدسة للعكوف على القلب من أجل التفتيش فيه ومعرفة ما فيه من الأمراض - وما أكثر الأمراض في القلوب ، وما أكثر الآثام فيها ، من غل وحسد وظغينة وما أشبه - أن يعكف المرء على قلبه من أجل أن يُقْتَش فيه ، وأن يُراجع بضمير حيٍّ يقظ لا يتطلع عليه فيه أحد حين مُطالعة ما في قلبه سوى الله - رب العالمين - ، أن يكون المرء مُقبلاً على ذلك ، بعيداً عن كل شيء ، بعيداً عن كل هاجس ، بعيداً عن حتى مذاكرة العلم إذا كان مُعتكفاً ، هذه الأمور وإن كان لا حرج فيها إلا أنها تفوت المقصود الأعظم ، ولم يكن ذلك من هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، إن الأمة تتربى في هذا العصر على إتخاذ الدين صدّاً عن الدين ، وعن تلمس سبيل الله - رب العالمين - للصدّ عن سبيل الله - رب العالمين - ، بممارسات خاطئة ، لا أقول مُخطئة من الخطأ ، وإنما هي خاطئة من الخطئية ، لأنها تحرق الناس عن سواء الصراط المُستقيم ، الناس يحتاجون في كل عصر ومصر ، وفي كل حين وحال إلى تبصرتهم بالأمر الأول ، بأمر العقيدة التوحيد ، فيغيّب هذا جانباً ثم يأتي القوم بالهزل والهرج والمرج وما أشبه من الصراخ والزعيق ، الذي تنقذ منه الحناجر ، وتكاد تنشق منه الصدور ، ثم هل أحدث أثراً هيهات هيهات ! ، لأن المرء لا يستطيع أن يصل إلى الشاطئ نظيف الثوب والبدن ، ويخوض إليه في بركة من الوحل والطين ، والوسيلة مننظبة كالغاية في دين الله - رب العالمين - سواء بسواء ، النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يدل الأمة أنه ينبغي عليها الإخلاص ، إذ هو المقصود الأعظم ، وذلك يكون بتفريغ القلب من العلائق ، وبتخلية القلب من الشوائب ، وبتخلية القلب من

الإيمان الصحيح ، وبالتوحيد المتين المكين في تلك القلوب على هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - إستعاذ بالله - رب العالمين - من خشوع النفاق ؛ أن ترى البدن خاشعاً والقلب غير خاشع ، هذه الإزدواجية أنشأت في الأمة فصيلاً ممن هم مصابون بالفصام حقاً وحقيقة - وأنا أدري ما أقول - لأن ذلك كان بداية تخصيصي في هذا الأمر ، فأنا أعلمه وأشخصه فيمن هو مصاب به ، هو وغيره من الأمراض النفسية ، لا تُخطئه بفضل الله - رب العالمين - عيني ، ولا أكاد أرى صحيحه ، إلا من رحم الله رب العالمين ، الإضطرابات النفسية مُحِيطَةٌ وبخاصة بأولئك الذين يدخلون الدين - دين رب العالمين - لماذا ؟ ، لأنهم لا يتحرون الحقيقة ، ولا يتلمسون الوصول إلى الغاية ، وإنما إذا ما أرادوا لم يهياً الله - رب العالمين - لهم في الجملة - إلا من رحم الله - رجلاً من أهل السنة كما قال سلفنا الصالح : " إنَّ من سعادة الشاب إذا ما تنسَّك أن يهياً الله - رب العالمين - رجلاً من أهل السنة ، فيدلّه على الإعتقاد الصحيح " ، هذا دونه خرق القتاد ، وإنما يدخل الناس المُتَكفِّفات من أجل أن يُشكَّلوا على أمر خبيث لا يعلمه إلا رب العالمين ، من أي شيء هذا ؟ ، أهذه مدرسة مُحمَّد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، أم مدرسة فلان وفلان ! ، ما هذا الوهم الواهم الذي يقع فيه الجمهرة الغالبة من جماهير المسلمين إلا من رحم الله رب العالمين ، النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كان يجتهد في العشر مالا يجتهد في ما سواه ، وكان - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - إذا دخل العشر أيقظ أهله ، وأحيا ليله ، لم يُمتَه بالتصنُّع ولا بالرياء ، ولم يُمتَه بمحاولة إلتماس سبل النفاق ، لأي شيء ؟ لا شيء ، وإن هذا الأمر لا يخلص منه إلا من رحم الله - رب العالمين - ، ورحم الله إمراً عرف قدر نفسه ، فإنَّ الإنسان لا يستطيع أن يجزم يوماً من الأيام بحقيقة الدوافع التي تدفعه ، ولا بحقيقة البواعث التي تبعثه ، وإنما يعلم ذلك يوم القيامة بين يدي الله - رب العالمين - والدليل على ذلك قول ربنا - جلت قدرته - :

{ والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلّة أنهم إلى ربهم راجعون } ، فلمّا إستشكّلت عائشة - رضوان الله عليها - نوع فهم فهمته في الآية ، قالت - يا رسول الله - هؤلاء { الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلّة أنهم إلى ربهم راجعون } ، هؤلاء الذين يزنون ، يسرقون ، يقتلون ، يفعلون المنكرات ، في معنى ما قالت - رضوان الله عليها - قال : [لا - يا بنت الصديق - وإنما هو الرجل يتصلّق ويصلي ويفعل الخير ، ويخشى أن لا يقبل الله - رب العالمين - منه] ، دلّنا النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - على أمر كبير أن أقواماً يأتون يوم القيامة بأعمال صالحات كمثال جبال كهامة ، وهي جبال معروفة ممتدة من الشمال إلى الجنوب هنالك تحجز ما تحجز وراءها في شبه الجزيرة العربية الإسلامية ، يقول النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : [وأقوام يأتون يوم القيامة بأعمال بيضاء كأمثال جبال تهامة ، فينظر الله - رب العالمين - إليها ، فيجعلها هباءً منثوراً] ، من هؤلاء - يا رسول الله - (صفهم لنا) ، أن لا نكون منهم ، فقال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم : [أولئك قوم إذا خلوا بمحارم الله إنتهكوها] ⁽³⁾ ، ألا إنّ الدين الذي لا يُثمر في القلب يقينا ، ألا إنّ الدين الذي لا يُثمر في اللسان نظافةً وعفةً ، ألا إنّ الدين الذي لا يُثمر في الجوارح عملاً مُثمراً مُنتجاً مرجوّاً مرضياً عند الله - تبارك وتعالى - لا يمكن أن يكون الدين الذي جاء به محمد الأمين - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، فإنّ ما جاء به النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - تزكيةٌ كله لتلك الأنفس التي تُقبل على الله - رب العالمين - ، القرءان يُزكي النفس ويُطهرها ، والقرءان بركةٌ كاملةٌ يؤتيها الله - رب العالمين - من يشاء ، فإذا ما كانت على ذلك النحو أثّرت فيه شيء يظهر في كلامه ، في خشوعه ، في سمته ، في هيأته ، في دلّه ، في حركة حياته ، وإلا فإنه يكون مُعاقباً حينئذ بما أتاه الله - رب العالمين - من العلم والقرءان ، والنبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أخبر أن الذين يُؤتيهم الله - تبارك وتعالى - القرءان فيرفضونه وينامون عن الصلاة

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه من حديث ثوبان - كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب - حديث : (4242 ، 7940)

المكتوبة يُعَذِّبون في البرزخ عذاباً وصفه لنا النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بأن بين لنا أن من كان كذلك فهو مُستلق لقفاه ، ويأتي قائمٌ بحجر يَشْلُقُ به رأسه ، والشلق : هو كسر ما كان من الأنية مُجَوِّفاً ، فيشلق رأسه ، فيتدهله (أي يتدحرج) الحجر ، فيذهب الرجل فيأتي بالحجر فيصح رأس المشدوخ ، فيضرب به رأسه فيشدقه ، ثم يتدهله الحجر فيذهب ، فيصح رأس المجدوخ ، ثم ما يزال ذلك كذلك حتى يقيم الله - رب العالمين - الساعة ، إذ هذا عذابٌ في البرزخ إلى يوم القيامة - نسأل الله السلامة والعافية - .

عباد الله : إنَّ النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ربى أصحابه على التوحيد الصحيح ، وكان ذلك الجيل الذي تربى على التوحيد الصحيح والعقيدة المُستقيمة ، بتوحيد تجريد القلب لله - رب العالمين - ، وبتوحيد تجريد المتابعة للنبي الأمين - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فهما توحيدان ههنا ، توحيد الإخلاص لله - رب العالمين - بتجريد التوحيد لله - رب العالمين - وحده ، ثم بتجريد المتابعة للنبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، يتلمس العبد ما كان يفعله النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لا ما تراكم من مخلفات القرون ، فإنَّ ما تراكم من مخلفات القرون فيه الكثير المدخول ، المدسوس على دين - رب العالمين - ، وإنَّ ما يلحق بذلك ما يكون من تلك العادات ؛ يعتادها الناس حتى تُظنَّ السنة بدعة ، وحتى تحسب البدعة سُنة ، فإذا ما أراد جلُّ من اهل السنة أن يُغيِّر البدعة ، قيل يُغيِّر السُّنة ، ويعتدي على السُّنة ، وهي بدعة محض ، لأنها لا يشهد لها شيء ، لا من هدي النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، ولا ما كان من هدي أصحابه - رضوان الله عليهم - . عباد الله : إنَّ ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته ، فمُقل ومُستكثر ، والفرصة مطروحةٌ ، وعلى كلِّ أن يجرد قلبه لله رب العالمين ، وأن يُجرِّد المتابعة للنبي الأمين - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وأن يقف عند هذا الذي جعله رحمة من أمر العشر ، ومُتأملاً ومستبصراً ، وناظراً لذاته ، لأنه كما ورد عن المسيح - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - " لن تكسب شيئاً ولن تربحه ، إذا ربحَت العالم كله

وخسرت نفسك " ، ما الذي يكسبه ؟ ، من يكسب العالم كله ويخسر نفسه ، فليحرص كل على قلبه ، وليجتهد في تلمس الأسباب الخفية ، التي يتوصل بها إلى تحقيق الإخلاص لله - رب العالمين - ، وأن يدع التمثيل والتصنع جانبا ، فإن ذلك لا يزيد الأمة إلا تأخرا ، وإنه لا طرفان ، طرف يُغالي ، يُغالي ما يُغالي في تلك الأشياء إغراقاً في بدع تُحسب سنناً ، وما هي من السنة في قليل ولا كثير ، وطرفٌ مائعٌ مُنحل ، يأخذ بالتفريط جملة ، ولا يكاد يعرف من سنة النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - شيئاً ، وإنما هو مكلفٌ في ذلك الزمان الشريف ، وفي تلك الامكنة الشريفة ، التي تتخذ مُعتكفات ، يُعتكف فيها الله - رب العالمين - هو مُكلفٌ بأمر بأمر يريد أن ينفذه أمره بذلك أميره أو مسؤوله أو من هو فوقه حتى يحدث الهرج والمرج ، وحتى يخرج الأمر عن نطاقه الشرعي ، فهذا مُغالٍ يخدع المسلمين بمظهر لا حقيقة وراءه ، وهذا إنما هو مُفريطٌ مائعٌ زائغٌ لا يكاد لا يستقيم له قدمٌ على الصراط المُستقيم ، والامر القاصد الوسط هدي النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، نسأل الله - رب العالمين - أن يرزقنا الإخلاص ، وأن يجعلنا من عتقائه من النار برحمته التي وسعت كل شيء ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - .

تم الإنتهاء من التفريغ في :

يوم السبت

18 / رمضان / 1434 هـ

أبو محمد صلاح الحامدي
غفر الله له، ولوالديه، ولجميع المسلمين.